فقد تبين ـ موضوعيا ـ ان سياسة القوة لم تساعد على تأكيد امن الولايات المتحدة ، ولم تساعد على زيادة نفوذها وهيبتها في العالم ، وانما جرتها الى حروب بعيدة لم تقتصر نفقاتها الباهظة على التكاليف المادية ، بل تجاوزتها الى النفقات المعنوية من صميم ثقة الولايات المتحدة بنفسها وثقة العالم الخارجي بها · وعندما جاءت هزيمة اميركا في فيتنام لم يكن من قبيل المصادفة انها تزامنت مع افتضاح التفسخ الداخلي لنظام الديمقراطية الاميركية · وشاركت الهزيمة والفضيحة معا في الحاق عار لا نظير له بـ « اقوى دولة في العالم »·

كانت الآثار المباشرة لهزيمة السياسة الخارجية (فيتنام) وهزيمة السياسة الداخلية (ووترغيت) متمثلة في الدعوة الى « اعادة تعريف المصالح الاميركية في الخارج » من ناحية ، والعمل على العودة الى الاصول الدستورية في توزيع السلطات في الداخل · وادى هذان الجانبان بدورهما الى سلسلة من عمليات اعادة النظر : في دور وكالة الاستخبارات الاميركية ـ في توزيع القوات المسلحة ـ والقواعد العسكرية الاميركية في الخارج ـ في دور الكونغرس ودور الرئيس في رسم السياسة الخارجية ـ في حجم ومدى التأييد الاميركي للنظم الحليفة ، وخاصة الدكتاتوريات ··· الخ ·

وما كانت تلك الا التفصيلات الجزئية للدعوة الاكثر تجريدا وشمولا الى « ايديوليوجيا » جديدة او على الاقل الى عودته الى « القيم الاميركية » ، وتحت ستار هذه الدعوة ظهرت المحاولات العديدة في السنوات التالية للهزيمتين لوضع تفصيلات « نقطة محورية جديدة للسياسة الخارجية الاميركية » (كان هذا عنوان لدراسته التي نشرها زبغنيو برجنسكي في مجلة « الشؤون الخارجية » الاميركية ، والتي قربته كثيرا الى جيمي كارتر ، الذي استعان به في تحديد ملامح سياسته الخارجية وهو مرشح للرئاسة ، ثم عينه مستشارا لشؤون الامن القومي بعد ان فاز بالرئاسة) ·

على ان من الخطأ الاعتقاد بأن السياسة الاميركية دخلت منعطفا جديدا بصورة فجائية خلال السنوات القليلة التي اعقبت نهاية حرب فيتنام وانكشاف فضيحة « ووترغيت » · انما كان الصراع الايديولوجي حول مسائل السياسة الخارجية يتعرض لتقلبات كبيرة على مدى السنوات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بسبب تعاظم قوة العالم الاشتراكي الاستراتيجية والاقتصادية · وبروز دوره في مناوأة الهيمنة الاميركية التي كانت تحل تدريجيا محل الهيمنة الاستعمارية القديمة البريطانية والفرنسية والهولندية والبجليكية ··· الخ ·

على مدى تلك السنوات ، ومن قبلها ، اضطرت الايديولوجيا الاميركية للتلون بصور مختلفة كأساس للسياسة الخارجية · ولهذا ظهرت « مبادىء » كثيرة حملت اسماء عديد من رؤساء الولايات المتحدة المتعاقبين · وكان كل من هذه «المبادىء» يعبر ـ ليس فقط عن تبرير سلوك معين في سياسة اميركا